الاراميـــون
فى العهـد القـــديم

للدكتور خالد الدسوقى
كلية البنات ـــ جامعة عين شمس

هنـــاك عبارة غامضة فى سفر عاموس (٩ : ٧) ترجع أصـــل الآراميين الى مكان يســـمى قير الذى يحتمـــل أن يكون بالقـــرب من عيلام (١) وذلك على الرغم من أن هذا المكان قد ذكر فى سفر عاموس (١ : ٥) والملوك الثانى (١٦ : ٩) باعتباره المكان الذى قدره الرب ليكون منفى أراميى دمشق • وتوحى العبارات التى وردت فى ســـفر عاموس بأنه بعـــد ما يقرب من خمســـمائة عام من اقامة الآراميين فى سوريا ، كانت لا تزال توجد رواية متداولة عن هجرة الآراميين تشـــبه الى حد كبير قصـــة خروج الاسرائيليين من مصر أو الفلســـطينين من كافتور (٢) كما تشير أيضا الى ما قد يؤدى اليه ســـلوكهم المعوج من نتائج وذلك بارجاعهم الى موطن أجدادهم • ليس هذا التهديد الا أثر من آثار ذكرى التهديد الذى وجه الى الاسرائيليين العصاه بارجاعهم ثانية الى مصر (٣) •

ومن ناحية أخرى فهناك مصـــدر خاص بأسفار موسى الخمســـة (التوراه) ذكر أن مكان اقامة الآراميين الأول هو «أرض بنى المشرق»

---

(١) قارن ، أشعيا ٢٢ : ٦ •

(2) Cf.. C.H. Gordon, JBL 74 (1955), p. 289.

(٣) قارن ، تثنيه ٢٨ : ٦٨ ، هوشع ٨ : ٣١ •

(تكوين ٢٩ : ١) حيث يتقابل يعقوب مع لابان ، وعلى ذلك تعبر العبارة « أرض المشرق » بوجه الدقة فى العهد القديم عن الصحراء الواقعة الى الشرق من فلسطين وهى الصحراء السورية •

وتضع « قائمة الأمم » التى ذكرها العهد القديم (تكوين ١٠ : ٢٢ — ٢٣) آرام الجد الأول للآراميين فى عداد أبناء سام مع عيلام وآشور مبينة بذلك ازدياد أهمية الآراميين فى الشرق الأدنى القديم منذ الثلث الأول من الألف الأول قبل الميلاد • كما تذكر نفس القائمة أربعة أبناء لآرام هم : عوض وحول وجاثر وماسين الذين لا نعرف شيئا عن شخصيتهم ولا عن مواطنهم • ولكن « لفائف قمران » (٤) تحدد موطن هؤلاء « فيما وراء الفرات » • ولكن فى سلسلة أنساب ناحور (تكوين ٣٢ : ٢٠ — ٢٤) نجد أن آرام يعتبر حفيدا لناحور وابنا لقموئيل من ذرية زوجة ناحور وليس من محظيته وبهذا تضعهم فى بلاد النهرين وليس فى جنوب سوريا (٥) • كما أصبح آرام هنا أيضا مجرد ابن شقيق لعوص وليس أبا له •

ويصل العهد القديم آباء العبرانيين الأول بالآراميين ، فلم يذكر فقط أن ابراهام شقيق ناحور بل أن اسحاق ويعقوب قد تزوجا ابنتى أبناء عمومتهم بتروئيل ولابان الآراميين (تكوين ٢٥ : ٢٠ ، ٢٩ : ٢١) •• ويؤكد العهد القديم آرامية لابان اذ يعزى اليه العبارة الآرامية « يجر يهدوثا » والتى ترادف العبرية « جلعيد والتى تعنى « رجم الشهادة » (تكوين ٣١ : ٤٧) • كما جاء فى سفر التثنية (٢٦ : ٥) أن يعقوب الذى كان يطلق عليه اسرائيل لقب مرة « الآرامى التائه »(٦)

(4) Qumran Saroll II. 10.

(٥) أنظر التعليقات على سفر التكوين فى :
H. Mazar, BA 25 (1962), 99.

(6) Cf. L. Koehler and W. Baumgartner, Hebreisches und Aramaeisches Lexikon zum alten Testament, 3rd ed. (Leiden, 1967), p. 2 b.

هذا بجانب أن أصل الاسمين اللذين يطلقان على ذلك الشعب قد اشتقا من آرام وعبر وقد نقل كلا من الاسمين متجاورين فى القوائم الخاصة بأبناء سام .

لقد تأثر كثير من المحدثين بما جاء فى العهد القديم ونادوا بانعدام وجود فوارق واضحة بين الآراميين والعبرانيين من ناحية الأصل أو المصدر الذى جاءوا منه ويؤكدون احتمالا أن الجنسين امتزجا على الحدود منذ البداية حينما كانت تعيش كل جماعة منهما عيشة الرعى فى الصحراء نفسها ، حتى أن القبائل الشمالية مثل « نفتالى » استطاعت أن تتحول من اسرائيلية الى سورية . وبجانب هذا يعللون الصلة القوية بين آباء العبرانيين والآراميين بأنهم يستطيعون ترسم ميلا آراميا واضحا فى قصة أبراهام وأسرته الذى أتى من حران الآرامية — على قولهم قبل أن تكون دمشق كذلك بزمن طويل (٧) .

ولكن اذا رجعنا الى المصادر الأخرى خارج العهد القديم لوجدنا أنه لم يكن لظهور الآراميين شأن كبير فى بلاد الرافدين والتى تشمل نهر الخابور وكلا ضفتى الفرات فى أقصى الغرب . ففى العهد القديم كانت هذه المنطقة تسمى « آرام — نهارايم » (آرام — النهرين أى الفرات ورافده الخابور) ولكن اذا رجعنا الى المصادر الأخرى التى يرجع تاريخها الى القرن الخامس عشر حتى القرن الثانى عشر قبل الميلاد نجد أن هذه المنطقة كان يطلق عليها اسم « نهارايم » فقط بينما

---

(٧) نجيب ميخائيل ابراهيم : مصر والشرق الأدنى القديم ، ج ٣ ص ٤٨٨ .

فى النصوص المصرية كانت تسمى « نهارينا » وفى الأكديمة « ناخريما أوناريما [٨] » •

وهكذا نجد أن ظهور الاسم المركب « آرام — نهارايم » وكذلك العلاقة المقترحة بين الآراميين وآباء العبرانيين يحتويان على مفارقة تاريخية حدثت تحت تأثير استيلاء القبائل الآرامية على منطقة الجزرة فى زمن لاحق أى فى نهاية الألف الثانية قبل الميلاد [٩] • بجانب هـذا فأن جميـــع الآراء التى نادت بأن آباء العبرانيين الأول يرجعـــون فى أصلهم الى الآراميين قد لاقت الآن معارضة قوية [١٠] •

كما نجـــد فى العهد القديم أن آرام أو آرام — نهـــارايم كانت الموطن الأصـــلى لكوشان — رشـــعتايم أول من عادى اسرائيل أيام القضاه (قضاه ٣ : ٨ ، ١١ الذى يؤرخ فى حوالى عام ١٢٠٠ ق•م) أوبلعام الأقدم منه عهدا (تثنيه ٢٣ : ٤) • وهنا أيضا توجد مفارقة تاريخية حيث أن موطن أسلاف بلعام هو مدينة فتور التى تقـــع على

---

(٨) من أجل هذا الاسم وظهوره فى العهد القديم وفى المصادر الأخرى أنظر :

R. T. O'Collaghan, Aram Naharaim (Rome, 1948), pp. 131 ff.; J. J. Finkelstein, JNES 21 (1962), 73 ff; Cf. Kraeling, Aram and Israel, pp. 20 ff.

(9) Cf. B. Mazar, JNES 28 (1969), 78.

(١٠) كان أول من نادى بالأصول الآرامية لآباء العبرانيين الأوائل M. Noth

أنظر كتابه

Die Ursprunge des alten Israel im Lichte neuer Quellen (Koeln-Opladen, 1961).

وللآراء المعارضة ، أنظر :

D. O. Edzard, ZA 22 (1964), 142 ff; M. Wagner VT Supplement, 16 (1967), 355 ff.

بعد حوالى ٢٠ كم جنوب قرقميش على الضفة الغربية للفرات • لقد أصبحت هذه المدينة فى حوزة الآراميين فى القرن العاشر أو فى النصف الأول من القرن التاسع قبل الميلاد كما تدل عليه حوليات الملك شلمنصر الثالث خاصة السنة الثالثة من حكمه أى عام ٨٥٧ ق•م « أن مدينة أنا — أشور — أوتير — أصبات التى يسميها شعب خاتى (أى السوريون) بيترو (فيتور) والتى تقع على نهر ساجور على الجانب الآخر من نهر الفرات ومدينة موتكينو على هذا الجانب من الفرات اللتين أقامهما سلفى تيجلات — بيلزر واللتين استولى عليهما ملك أرض آرام بالقوة فى عهد أشور — رابى (١٠١٠ — ٩٧٠ ق•م) ملك آشور ، هاتين المدينتين قد أرجعتهما الى حالتهما السابقة » (١١) •

آرام — صوبة والحرب مع داود :

فى حوالى عام ١١٠٠ ق•م انتشرت القبائل الآرامية فى سوريا بل توغلت مثل الاسرائيليين فى شمال شرق الأردن • ولم يكن هناك بد من قيام الاشتباك بين الجارتين الكبيرتين ، اسرائيل والدويلات الآرامية خاصة بعد قيام ملكة اسرائيل وعلى رأسها الملك شاؤل (١٠٢٠ — ١٠٠٠ ق•م) الذى حارب ملك آرام — صوبه (صموئيل الأول ١٤ : ٤٧) وليس لدينا أية بيانات عن الحرب التى قامت بين شاؤل وملك صوبة واذا كان العهد القديم لم يذكر بقية أمراء المنطقة من الآراميين فغالبا ما كانوا خاضعين لملك صوبه • لقد أصبحت مملكة صوبة فى مركز يسمح لها بزعامة الآراميين فى جنوب سوريا وكانت صوبة عاصمة هذه المملكة وكانت تستمد ثورتها بما اشتهرت به من مناجم النحاس (١٢) •

---

(11) ARAB I, p. 603.

(١٢) والجدير بالملاحظة أن كلمة صوبه مشتقة من صهوبه بمعنى أحمر أو نحاس ويظن أن موقعها هو كالسيس أو عنجر الحدبثة جنوبى زحلة فى البقاع ، أنظر : Kraeling, Op. Cit. p. 40.

وكانت كالسيس (والكلمة يونانية معناها نحاس) فيما بعد عاصمة أبطوريا (المذكورة فى انجيل لوقا ٣ : ١) وهى مملكة عربية .

وفى بداية حكم داود (١٠٠٠ — ٩٦٠ ق٠م) بلغت مملــكة آرام — صوبه ذروة قوتها بقيادة هدد — عزر بن رحوب (صمويل الثانى ٨ : ٣) والذى كان مواطنا من آرام — بيت — رحوب والذى يبدو أنه قام بتوحيد هذه المملكة مع صوبه ٠ ويبدو أن آرام — بيت — رحوب كانت تقع فى وادى لبنان الجنوبى بينما كانت آرام — صوبة تقع فى الشمال ممتدة شمال شرق جبال لبنان الداخلية داخل الصحراء السورية تجــاه تدمر ٠ وهكذا وضع هدد — عزر تحت يديه ممتلكات شاسعةتكونت منها امبراطورية ذات كيان سياسى مركب ضمت اليها فيما ضــمت آرام — دمشق ودويلات أخرى تابعــة مثل مملكة آرام — بعكه فى الجــولان الأعلى وأرض طوب فى شمال شرق الأردن (صمويل الثانى ١٠ : ٦) أخبار الأيام الأول ١٩ : ٦ — ٧) أما فى الجنوب فقد وصــل نفوذه حتى عمون بينما فى الشمال الغربى كانت توجد مملكة حماه التى كانت دائما تناصبه العداء (صمويل الثانى ٨ : ٩ — ١٠) ٠

ويعكس لنا نص شلمننصر الثالث السابق ذكره ذلك التوسع الذى أحرزه هدد — عزر فى الشمال الشرقى حتى نهر الفرات بل فيما وراء هذا النهر (صمويل الثانى ٨ : ٣ ، ١٠ : ١٦ ، الأخبار الأول ١٩ : ١٦) ٠٠ فقد جاء فى هذا النص ما يفيد أنه تحت حكم أشور — رابى الملك الآشورى المعاصر لهدد — عزر أن « ملك آرام » استولى على مدينــة بترو ومدينة موتكنو وهى مناطق تقع على ضفتى الفرات جنوب قرقيش ٠٠ وفى نص مماثل فى حوليات آشور — دأن الثــانى (٩٣٤ — ٩١٢ ق٠م) نجد أن الأماكن التى استولى عليها الآراميون تقــع فى مناطق مختلفة ولكن يبدو أنها توجد شمال منعرج الفرات الأعلى ، أى المنطقة التى احتلتها فيما بعد قبيلة بيت — أدينى الآرامية [١٣] ٠

---

(13) Cf. Weidner, AFO 3 (1926), 151 ff ; E. Forrer, RLAI, 291.

فلو صح أن الملك الآرامى فى كلا الحولبتين هو هدد — عزر ، فيمكن ارجاع فتوحاته على طول نهر الفرات بين اعتلاء آشور — رابى العرش (١٠١٢ ق٠م) وحروب هدد — عزر ضد الملك داود التى حدثت فى أوائل القرن العاشر قبل الميلاد ٠

لقــد وضع انتصار داود على هــدد — عزر وحلفائه نهــاية للامبراطورية الآرامية فى سوريا بحيث أصبحت جميع ممتلكاتها تخضع للادارة الاسرائيليــة ٠ وفى الامكان اعادة ترتيب وقائع هــذه الحرب زمنيا على الوجه التالى : —

١ — حرب اسرائيل الأولى ضد القوات العمونية والآرامية المتحــالفة التى كانت قد وصلت الى سهل مؤاب (صمويل الثــانى ١٠ : ٦ وما بعدها اخبار الأيام الأول ١٩ : ٦ وما بعدها) ٠

لقد كانت القوات الآرامية تتكون من قوات من آرامى « بيت — رحوب » و٢٠ ألف رجــل من آرامى صوبه و١٠ آلاف رجــل مــن معكه و ١٢ ألف رجل من طوب ٠ وتحرك جيش داود الاسرائيلى وعلى رأسه « يواب » ضد تحالف عمون وآرام ٠ ودارت المعركة تحت أسوار « ربه » عاصمة العمونيين (عمــان الحالية) ٠ وانتظم العمونيين فى معركة بالقرب من الباب بينما عمل آراميو « صوبه » ورحوب وأهالى طوب ومعكة على القيام بحملة قوية وعلى ذلك كــان جيش اسرائيل أن يقاتل فى جبهتين ٠ وقد كان يواب ماهرا فوزع قواته الى قسمين ٠ تقدم هو بنفسه لمواجهة الآراميين على رأس جماعة من المختارين بينما رأس خوه ابيشاى الفرق العمونية الأخرى ٠ وجاء فى العهد القــديم ما يلى (صمويل الثانى ١٠ : ١١ — ١٤) : وقال (يواب) أن قوى آرام على تكون لى منجدا وأن قوى عليك (أى على أخيه) بنوعمون أذهب لنجدتك ٠ تجلد ولنشدد من أجل شعبنا ومن أجل مدن الهنــا وليضع الرب يهوا ما حسن فى عينه ٠ فتقدم يواب والشعب الذى معه

لمحاربة آرام فهربوا من أمامه • ولما رأى بنوعمون أنه قد هرب آرام هربوا من أمام ابيشاى وأتى الى أورشليم » •

٢ ــ معركة حيـــــلام :

(صمويل الثانى ١٠ : ١٥ وما بعدها ، أخبار الأيام الأول ١٩ : ١٦ وما بعدها) :

ولم يستطع الآراميون الاستمرار فى الحرب • فقرر هدد ــ غزر ابن رحوب ملك صـــوبه أن ينزل المعركة وشـــارك معه الآراميين من الجانب الآخر لنهر الفرات أى آراميو الرافدين • وهكذا تحرك آراميو الشمال وآراميو الجنوب ضد اسرائيل وكان شـــوباك قائد جيش هدد ــ عزر على رأس كل هـــذه الفرق ، فنظم مركباته الحربية ومترجلتـــه واصطف الآراميون للقاء داود وحاربوه وقابلهم عند حيلام (فى مكان ما شمال شرق الأردن) وهزم داود أعداءه وفقد الآراميون ٧٠٠ مركبة وأربعين ألف رجل وقتل شوباك فى المعركة • وذكر العهـــد القديم فى هذا الشأن بالاضافة الى ما سبق أن أشرنا اليه ما يلى : « فلما رأى جميع الملوك عبيد هـــدد ــ عزر أنهم أنكسروا أمام اسرائيل صالحوا اسرائيل واســـتعبدوا لهم وخاف آرام أن ينجـــدوا بنى عمان بعد » (صمويل الثانى ١٠ : ١٥ ــ ١٩) •

٣ ــ توغل داود داخل سورية :

ويقص العهد القديم غزوة أخرى لداود ضد الآراميين (صمويل الثانى ٨ : ٣ ــ ١٠ ، أخبار الأيام الأول ١٨ : ٣ وما بعدها) اذ فكر هدد عزر بن رحوب ملك صوبة أن « يذهب ليرد سلطته عند نهر الفرات أى ليثبت سيطرته على آرامى ما بين النهرين • وكان قد تلقى من تلك الأقوام عونا عسكريا فى الحروب السابقة ، غير أنه يرغب الآن أن يقيم من الفرات الى الأردن اتحـــادا من الدويلات الارامية من الفرات حتى الأردن وكان يعمـــل على أن تكون صوبه عاصـــــمة تلك الامبراطورية

الارامية • ولــكن قضى داود على أحلامه وهزمه فأخــذ منه « ١٧٠٠ فارس وعشرين ألف رجل وعرقب داود خيل جميع المراكب وتبقى مائة مركبة » وبالاضافة الى ذلك أخذ منه الدروع الذهبيــة التى كانت مع عبيد هدد عزر وقضى داود على آرامى دمشق المتحالفين مع هذا الملك فقتل منهم ٢٢ ألف رجل وأقام فى معسكرات فى آرام دمشق • ويبدو أن هذه الهزيمة التى الحقت بقوات آرام — دمشق حدثت أثنــاء تغيب هدد عزر فى منطقة الفرات • وبذلك اضطر الآراميون الى الخضــوع لداود ودفعوا له الجزية • وكان من ضمن الأسلاب التى استولى عليها داود كميات من النحاس الذى اشــتهرت به مملكة صوبة (كما فعــل الآشوريون فى زمن لاحق حينما انتصروا على آرام — دمشق) أخذها من ثلاث مدن سورية كانت تابعة لهدد عزر وهى طبحه وخون وبيروتاى[١٤] (صموئيل الثانى ٨ : ٣ — ١٠ ، أخبار الأيام الأول ١٨ : ٣ ومابعدها •• وأشار نفس المصدر الى أن « توعى » ملك حماه كان عدوا لهــدد عزر ملك صوبه فلما علم بهزيمته أرسل يورام ابنه الى الملك داود ليسأل عن سلامته ويباركه لأنه حارب هدد عزر وضربه » وقدم له أوانى من فضه وذهب ونحاس • وقد وضحت عداوة ملك حماه لملك صوبه لأن هذا الأخير كان يعمل على احتلال المنطقة بينه وبين الفرات • وبارسال توعى هدايا الى داود اعتبره هذا الأخير مواليا له وقد تبين له أن حماية ملك اسرائيل لــه أقــل خطورة مــن جــاره القريــب • بــهذه الحروب الثلاث استطاع داود القضاء على قوة « صوبه » وهكذا اختفت هذه المملــكة من مسرح الأحداث لتحل محلها مملكة آرام — دمشق • ولكن يظهر اسم صوبه بعد ذلك على لبنــات من حماه منقوش عليها باللغــة

---

(١٤) مدينة بيروتاى هى اليوم بريتان جنوبى بعلبك .

الآرامية ولكن يبدوا أنه يشير الى منطقة داخل مملكة حماه [١٥] كما يظهر كاسم لولاية آشورية (صوباتو) فى أواخر القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد بعد سقوط مملكتى آرام — دمشق وحماه .

قيام مملكة آرام — دمشق :

هناك احتمال فى أن الآراميين قد استقروا فى أرض « أوبى » (وعاصمتها القديمة دمشق) خلال أو عقب الارتباك الذى نشأ بسبب الثورة الفلسطينية ضد مصر فى أخريات عهد اخناتون ثم اغارة الحيثيين على ميتانى وتقويض دعائم ملكها وكذلك عند تقدم العبرانيين نحو فلسطين وكانت الحدود بين العبرانيين والآراميين من ناحية شرق الأردن هى اليرموك وأما من ناحية الغرب فكانت الى الشمال فى أعلى وادى الأردن حتى الجبال حيث مقاطعة « أشير » التى تحاد الشاطىء الفينيقى [١٦] .

لقد تأسست مملكة آرام — دمشق فى الأيام الأخيرة من حكم سليمان (٩٦٠ — ٩٣٠ ق.م) على يدرزون بن اليداع الذى استخلص دمشق من اسرائيل واتخذها عاصمة له (الملوك الأول ١١ : ٢٣ وما بعدها) وهكذا أصبحت الدويلة الآرامية الرئيسية فى سوريا خلال القرنين التاسع والثامن قبل الميلاد . وعن نشأة هذه المملكة ورد فى العهد القديم عنها مايلى : « وآثار الرب ملك صوبه . فجمع اليه رجالا وصار رئيس غزاه عندما كان داود يدمرهم فانطلقوا الى دمشق وأقاموا بها وملكوا فى دمشق . فصار فاتنا فى اسرائيل كل أيام سليمان » (الملوك الأول : ٢٣ ٢٥) . ولقد تسلمت دمشق من هذا التاريخ زعامة العالم الآرامى فى سوريا وقادت الصراع ضد

---

(١٥) قارن « حماه — صوبه » التى تغلب عليها سليمان فى أخبار الأيام الثانى ٨ : ٣ .

(١٦) نجيب ميخائيل ابراهيم ، المرجع فىسابق جـ ٣ ص ٤٨٨ .

العبرانيين حتى أنه جاء فى النصوص الآرامية القديمة أشارة الى ملك دمشق كان يطلق عليه لقب « ملك آرام » فقط وكان رزون هذا الآرامى السورى العدو الأكبر لاسرائيل • وقد امتدت مملكته من الفرات الى اليرموك جنوبا على حساب العبرانيين كما تاخمت الأراضى الآشورية فى الشمال واستطاعت أن تبسط سلطانها على سوريا الداخلية الى الى الشرق من لبنان وكذا على سوريا الشمالية وباشان فى بداية الألف الأولى وظل ملوكها يسيطرون على الاثننتى عشرة أمة صغيرة من حولهم وأفلحوا فى مقاومة ما كان يبذله الآشوريون من جهود لاخضاع سوريا لحكمهم (١٧) •

وكثيرا ما كان يشار الى هذه المملكة باسم « دمشق » أو «آرام» بصفة خاصة فى العهد القديم وفى المصادر الآشورية والنصوص الآرامية القديمة (كما فى شاهد بار — هدد وزاكير) (١٨) • وتشير وثائق العهد الآشورى الحديث الى هذه المملكة باسم « (شار) أيرى — شو » أى (أرض) حميره (١٩) وبالرغم من أن هذا الاسم قد تبادل مع اسم دمشق ، الا أنه يحتمل أنه يشير الى المملكة فى حد ذاته •

ولقد كانت هذه المملكة من أول الأمر آرامية ، فملوكها كانوا آراميين اتخذوا من دمشق مركزا لاشعاع حضارتهم يستطيعون منها أن يسهموا فى توجيه السياسة الدولية المعاصرة • ولعل دمشق تدين لموقعها بهذه الميزة • ذلك لأن وضعها الجغرافى استطاع أن يزود عنها بعض الوقت أطماع آشور من ناحية كما يسر لها الاتصال المباشر بالحضارات القريبة منها عن طريق الوديان والسهول وهى فى الوقت

---

(١٧) فيليب حتى : تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين حـ ١ •

(١٨) انظر

F. M. Cross, BASOR 205 (1972), 36 ff.

(19) Cf. F. M. Tocci, RSO 35 (1960), 125 ff.

نفسه مركز هام لطرق القوافل الى الصحراء السورية وهى بذلك وسيط مباشر بين التجارة العربية والبابلية من ناحية وتجارة سوريا وفلسطين من ناحية أخرى • لقد جعل منها الآراميون دولة استطاعت أن تفرض نفسها منذ القرن العاشر ق•م على ما كان يجرى من أحداث وأن تقف على قدم المساواة مع غيرها من الدول بحيث أصبحت تستطيع أن تعدل من القوى حين كانت نحاوز الى أحد الجانبين وبحيث اكتسبت احترام جيرانها بفضـــل ما أظهرته من منعة وقوة وما وصلت اليه مــن مركز حضارى مرموق •

مملكة آرام — دمشــق وموقفها من يهوذا واسرائيل وآشور :

لقد ساعد انقسام مملكة اسرائيل على قيام مملكة آرام — دمشق التى اســتغلت الى حد كبير المنازعات المســتمرة بين يهوذا واسرائيل لصالحها ، كما أن التنافس بين المملكتين العبرانيتين قد أفسح الطريق أمامها لانجــاز مشروعاتها العمرانية الكبيرة • ويعطينا العهد القــديم (الملوك الأول ١٥ : ١٨ — ١٩) صورة واضحة عن هــذا الموقف • فها هو أسا ملك يهوذا قد وقع فى خلاف مع ملك اسرائيل بعشا (فى الفترة من ٨٩٠ — ٨٨٠ ق•م) فيعتدى على أرضه ، ثم يعتمــد على ملك دمشق الآرامى طالبا منه العون ضد عدوه • وكان ملك دمشق فى هذا الوقت هو « بنهدد بن طبريمون بن حزيون » • وقد أرسل أســا اليه الهدايا ومعها هذه الرسالة : « بينى وبينك تحــالف وبين والدى ووالدك وهأنذا أرسل اليك هدية من الفضه والذهب ، اذهب واقطــع علاقتك مع «بعشا » ملك اسرائيل لكى يتوقف عن حملى مالا أطيق » (الأخبار الثانى ١٦ : ٣) • والظاهر أن ملك دمشق قد وقع عهــدا مع مملكتى يهوذا واسرائيل فى وقت واحــد • وهكذا يخبرنا العهــد القديم عن تسلســل أفراد الأسرة الذين حكموا آرام — دمشـــق (والاحتمال كبير فى أن يكون حزيون هو رزون مؤسسى المملكة المذكور

آنفا) [٢٠] كما يخبرنا أيضا عن المحالفات التي تمت في ذلك الوقت . فالمحالفة الأولى كانت بين طبرمون ووالد آسا المدعو أبيجا ملك يهوذا والمحالفة الثانية بين بنهدد [٢١] وبعشا ملك اسرائيل وأخيرا التحالف العسكرى بين بنهدد ويهوذا والذى تبعه حملة آرامية تمكنت من الاستيلاء على الجليل الشرقى من اسرائيل » فسمع بنهدد للملك آسا وأرسل رؤساء الجيوش التى له على مدن اسرائيل وضرب عيون ودان وآبل المياه وجميع مخازن مدن نفتالى (أخبار الأيام الثانى ١٦ : ٣ — ٤ ، ملوك أول ١٥ : ٢٠) ، ومعنى ذلك كل شمال مملكة اسرائيل . عند ذلك توقف بعشا عن الضغط على يهوذا ومضايقتها . وقد حفظ لنا العهد القديم قصة نعمان قائد جيش « ملك آرام » (أى ملك دمشق) وكان قد مر به بعض البأس ، اذ أصيب ببرص فتوجه الى السامرة طالبا الشفاء على يد النبى اليشع صانع العجائب (ملوك الثانى ٥) وتدل هذه القصة على مدى ما وصل اليه نفوذ مملكة دمشق فى اسرائيل .. وهكذا استطاعت دمشق فى عهد بنهدد أن تصبح على رأس الدويلات السورية . وقد جاء اسم ملك دمشق هذا على لوح كشف عليه بالقرب من حلب وقد صور على أعلى اللوح الاله الفينيقى « ملقارت » ومعه النص الآرامى « لوح وضعها بن هدد بى طبريمون بى حزيون ملك آرام ، من أجل ربه ملقارت ، لوح كرسه من أجله لأنه سمع صوته » . وهناك احتمال كبير أن يكون ملك دمشق قد توغل فى أقليم حلب ، أما

---

(20) Cf. B. Mazar, BA 25, p. 104, N. 12.

الذى يعتقد أن حزيون هو الاسم الشخصى للملك بينما رزون لقبه الملك حيث أن الكلمة العبرية « رزن » تعنى « حاكم ، أو أمير » . وقارن أيضا :

I. J. Gelb, Glossa 2 (1968), 101.

(٢١) كلمة بنهدد أوبن هدد فى العبرية تقابلها بارهدد (أى ابن هدد) فى الآرامية .

كحليف أو كعدو لبيت اجوزى كما فعل ملك صوبه أيام حكم داود حينما قام بحملة الى الفرات ليعيدها لحكمه [٢٢] •

وفى أيام عمرى ملك اسرائيل (٨٨٥ — ٨٧٤ ق • م) ازداد الضغط الارامى على شمال اسرائيل حتى انه هدد وجودها نفسها • وفى العهد القديم فصله تشير عرضا الى أن والد بنهدد الثانى (بدون شك هو بنهدد الأول بن طبريمون) قد أخذ مدنا من والد اخاب أى من « عمرى » واخد منه الحق فى اقامة أسواق فى السامرة عاصمته (الملوك الأول ٣٠ : ٣٤) ونرى عمرى انه رغم ازدياد قوة اسرائيل وازدهارها الا انه هزم امام دمشق • وكان النزاع مستمرا بين الدولتين وذلك بسبب مشاكل الحدود خاصة فى المنطقة الممتدة من شمال عبر الاردن الى ريموث — جلعد فى الجنوب والتى كانت تعتبر منطقة فاصلة يسكنها شعب خليط من الاسرائيلين والآراميين (قارن ، اخبار الأيام ٢ : ٢٣ ، ٧ : ١٤) فكثيرا ما تغيرت ملكية هذه المنطقة أثناء حكم أسرة عمرى فى اسرائيل ، هذا بالاضافة الى الأمور السياسية والاقتصادية ، اذ أن حكومة آرام — دمشق كانت تسعى لأن يكون لها منافذ تجارية فى اسرائيل •

ولما تولى آخاب الحكم (٨٧٤ — ٨٥٣ ق • م) بلغ النزاع اوجه ، ففى عام ٨٥٧ ق • م دخل بنهدد الثانى الى فلسطين بجيش كبير العدد وكان يصحبه اثنان وثلاثون ملكا • لقد اتحدث فيما يظهر الأحزاب فى اتحاد كبير ضم جميع الأسر الآرامية صغيرها وكبيرها • وحوصر آخاب فى عاصمته السامرة ولم يستطع أن يجهز الاحامية بسيطة فلم يستطع المقاومة وقبل ما فرضه عليه ملك دمشق من جزية من الفضة والذهب وتمادى ملك دمشق فى طلباته من اسرائيل ففرض عليه أن يسلمه زوجاته وأطفاله • عندئذ رفض أخاب وعزم على عدم

---

(٢٢) عبد الحميد زايد الشرق الخالد ص ٣٥٤ •

تحقيق الرغبة الأخيرة • وفى وقت الظهيرة وبينما كان الآراميون يأخذون قسطا من الراحة ويتناولون الشراب فى مخيمهم باغتهم الاسرائيليون وقتلوا منهم الكثير وانهزم الآراميين وفروا وتركوا خيولهم ومركباتهم وفر بنهدد على فرس مع نفر من خيالته (الملوك الأول ٢٠ :١ — ٢١) وهكذا نجح اخاب فى صد الهجوم الآرامى عن عاصمته •

لقد استاء ملك آرام — دمشق من تلك الهزيمة ، ففى العام المقبل جمع جيشا جديدا واتجه نحو فلسطين وتقدم اخاب هذه المرة لمواجهة عدوه ، فتقابل الاثنان عند « افيق » فى الجولان الجنوبية وقد جاء فى (الملوك الأول ٢٠ : ٢٢ — ٣٤) « فنزل هؤلاء تجاه سبعة أيام • ولما كان اليوم السابع التحمت الحرب فقتل بنو اسرائيل من الآراميين مئة ألف رجل فى يوم واحد • وهرب الباقون الى افيق ، وحاصر بنو اسرائيل هذه المدينة واحتلوها سريعا • أخذ بنهدد يهرب من بيت الى بيت • أما عبيدة فشدوا مسوحا على متونهم وجاءوا الى ملك اسرائيل وقالوا : ان عبدك بنهدد يقول : اتوسل أن تستبقى نفسى • فقال اخاب : احى هو بعد ؟ انما هو اخى • فاستبشر بنهدد خيرا واستسلم • فاصعده اخاب على مركبته وقطع عهدا قال فيه بنهدد المدن التى أخذها أبى من أبيك اردها عليك وتجعل لك أسواقا فى دمشق كما فعل أبى فى السامرة فقال : وانا اطلقك بهذا العهد • وقطع له عهدا واطلقه » • وهكذا اعيدت الى اسرائيل المدن التى فى عبر الاردن التى كان بنهدد الأول قد استولى عليها كما منح التجار الاسرائيليون امتيازات فى دمشق كتلك التى كان يتمتع بها الآراميون فى السامرة • لماذا كان اخاب رحيما مع عدوه الخطير ؟ فالاسرائيليون دائما أصحاب منفعة ولابد انه كان وراء الصفح أهداف • ففى هذا الوقت كانت تجرى فى الشمال أحداث خطيرة • فقد

تولى شلمنصر الثالث الحكم بعد وفاة والده آشـــور ـــ ناصر ـــ ابلى الثانى وتمكن من القضاء على دويلة بيت ادين الآرامية ومن حالفها من الدويلات الأخرى كما سبق أن اشرنا ، فكان ذلك ايذانا بقرب الخطـــر الآشورى من آرام ـــ دمشق ومن اسرائيل على حد سواء • ففى آرام ـــ دمشق بدأ بنهدد الثانى يستعد لملاقاة الآشوريين فأعاد تنظيم جيشه ومملكته كما انه حول الدويلات التابعة له الى مجـــرد ولايات (قارن الملوك الأول ٢٠ : ٢٤ ـــ ٢٥) معززا بذلك امبراطوريته[٢٣] • أما فى اسرائيل فقد شمل الذعر ملكها اخاب الذى أخذ يتقرب من بنهدد الثانى ملك دمشق •

ولمواجهة هذا الخطر الآشورى ، تكون تحالف من أثنى عشر ملكا كان منهم ارخولينى ملك حماه واخاب ملك اسرائيل ومؤاب وآدوم ويهوذا والولايات الفينيقية الشمالية الى الشمال من جبيل عمون وقوى (أو قيليقيا) ووضع هذا التحالف تحت قيادة بنهدد الثانى (ربما هو نفسه اداد ـــ ادرى المذكور فى المصادر الآشـــورية) • وكان أول لقـــاء بين المتحاربين عند قرقر عام ٨٥٣ ق• م فى أرض حمـــاه • وكان الجيش الذى يقوده اداد ـــ ادرى يتكون من ١٣٠٠ عجلة و١٢٠٠ من الفرسان و٣٠ ألف من المشاه ، بينما الجيش الذى يقوده اخاب يتكون من ٢٠٠٠ عجلة وعشرة آلاف من المشاه والذى بقيادة ارخولينى من ٧٠٠ عجلـــة و٧٠٠ فارس وعشرة آلاف من المشاه[٢٤] • ومن المحتمل أن القوة التى كانت تحت قيادة اخاب كانت تتضمن قوات مساعدة من قبل يهوشافاط ملك يهوذا (قارن الملوك الأول ٢٢ : ٤ ، والملوك الثانى ٣ : ٧) • وكان بعشا بن رحوب الملك الآرامى الآخر الذى اشترك فى هذه المعركة وكان من أرض اوجبل امانا والذى يغلب على الظن انها جبال لبنان الداخلية

---

(23) Cf. Mazar, BA 25, 609 ff ; and JBL 80 (1961), 25 f.

(24) ANET, p. 278

والتى ذكرت فى العهد القديم بهذا الاسم • وحيث أن بعشا يحتمل أنه قد ضم لحكمه منطقتين منفصلتين هما آرام بيت — رحوب والمنطقة الجبلية الى الشرق منها ، فقد أوكلت اليه فرقة واحدة من المشاة فقط • هذه هى موقعة قرقر الشهيرة على نهر العاصى التى تعد احدى المواقع الحاسمة تم خلالها اندحار حلف من اثنى عشر ملكا تكتلوا جميعا للوقوف فى وجه قوات العاهل الآشورى شلمنصر الثالث ولكنهم لم يفلحوا بل حاقت بهم جميعا الهزيمة •

ولعل المعركة التى ذكرت فى سفر الملوك الأول (٢٢) بين اخاب وبنهدد عند راموت جلعاد غير محتمل حدوثها بعد وقت قصير من معركة قرقر حيث أن حلف ملوك الغرب يبدو انه ظل قائما ليقابل شلمنصر الثالث مرة ثانية فى عام ٨٤٩ ، ٨٤٨ ، ٨٤٥ ق•م[٢٥] • ولكن الخيبة أصابت شلمنصر فى هذه الخطة لاخضاع سوريا واستطاعت آشور أن تدرك انها بغير اخضاع دمشق لا تستطيع أن تثبت أقدامها فى سورية ولم يكن من اليسير بالنسبة لواحدة من هذه الولايات أن تظهر ميلا لآشور لأن هذا كان يعنى بالضرورة تعرضها لقسوة دمشق وحزمها •

لقد كان حزائيل هو الذى قضى على اسرة بنهدد بعد أن اغتاله وتولى مكانه على عرش دمشق (الملوك الثانى ٨ : ٧ — ١٥) ربما بمساعدة آشور لتسنده فى اعتلاء العرش ولكن حالما أصبح ملكا على دمشق ظل على مقاومة آشور بأمل تثبيت مركزه واظهار قوته • لقد غير حزائيل سياسة دمشق تجاه اسرائيل فأخذ يناصبها العداء وذلك أيام ملكها يورام بن اخاب (٨٥٢ — ٨٤٢ ق•م) لأن حزائيل ملك دمشق كان يريد اعادة راموث جلعاد • لقد حدث الاشتباك بين الطرفين عند راموث جلعاد عام ٨٤٢ ق•م (الملوك الثانى ٨ : ٣٨ وما بعدها)

---

(25) Cf. A. Jepsen, AFO 14 (1942), 154 ff. ; J. M. Miller, JBL 85 (1966), 441 ff.

ومن المحتمل أن الحرب التي وقعت عند راموث جلعاد • بين اخـاب وبنهدد تعكس هذا الاشتباك الأخير • لقد جرح يورام أثناء المعـركة واجبر على العودة الى يزرعيل تاركا لقواده الاستمرار فى المعركة ضد الآراميين • ولم يذكر العهد القديم شيئا عما حدث لمدينة راموث جلعاد، ولكن من المحتمل أن حزائيل ملك دمشق قد استولى على هذه المدينـة ولكن يبدو أن يورام قد نجح أخيرا فى الاستيلاء على راموث جلعـاد لأنه لدينا اشارة بعد ذلك بفترة طويلة تقول « وكان يورام محافظا على راموث جلعاد » (الملوك الثانى ٩ : ١٤) وقد دافع عنها ملك دمشـق الجديد •

كان شلمنصر الثالث يتابع تطور الحوادث عن قرب وقد شغلته قوة الملك الجديد فقرر أن يضربه ضربة قوية خاصة بعد أن انفرط عقد تحالف ملوك الغرب • فقد قام فى عام ٨٤١ ق•م بحملة جاء وصفها فى الكتابات الآشورية : « فى سنتى الثامنة عشرة من الحكم عبرت للمرة السادسة عشرة الفرات •وقد اطمأن حزائيل (صاحب) اقليم دمشق الى جموع فرقة وعبأ وحداته فى عدد كبير • واتخذ جبل سانيرو (جبل حرمون) الذى يشرف على لبنـان حصـنا له ، فحاربته وانتصرت عليه وقتلت بالسلاح ٦٠٠٠ محاربا و(أخذت) ١١٢١ من مركباته و٤٧٠ من خيله وفى نفس الوقت أخذت خيامه (أى ثكناته) وحتى ينقذ حياته هرب فتبعته وحاصرته حيث كان يقيم فى دمشق وقضيت على بساتينه وذهب حتى دخل حوران فهدمت مدنه التى لا حصر لها ، اتلفت واحرقت وأخذت منها غنيمة كثيرة وتقدمت حتى جبل « بعال — راسى » (بعض القمة الذى يحتمل أن يكون جبل الكرمل) واقمت هناك شاهدا يحمل صورتى كملك• وفى نفس الوقت تسلمت الجزية من الصوريين والصيداويين ومن يهو ابن عمرى » • وفى عام ٨٣٨ ق•م جرد حملة جديدة ضـد اسرائيل : « فى السنة الحادية والثلاثين من حـكمى ، عبرت للمـرة الحـادية والعشرين الفراتوتقدمت نحو مدن حزائيل صاحب دمشق واستوليت

على أربع من مدنه وتسلمت الجـزية من الصـوريين والصـيداويين والجبلبيين »[٢٦] • هكذا هزم شلمنصر الثالث آرام — دمشق وملكها حزائيل الذى وقف وحيدا فى عام ٨٤١ و٨٣٨ ق•م بعد أن شـق الآشوريون طريقهم نحو دمشق مباشرة واضطر حزائيل الى الدفـاع عن نفسه فى عاصمته بل توغلوا فى حوران والجليل حتى جبل الكرمل • لقد قاسى حزائيل أثناء هاتين الحملتين ضربات كبيرة ولكن لم يستطع شلمنصر أن ينجح فى الاستيلاء على العاصمة ، ولم يتضح تماما ان كان قد حاول من جديد أن يعمل شيئا ضد دمشق حتى نهاية حكمه ، اذ يبدو أن آشور اضطرت بعد ذلك أن تعدل عن محاولة تحقيق أهدافها • وأيا ما كان الأمر فقد استفاد حزائيل من هذه الفترة التى زال فيها الضغط الآشورى ، فأصلح من أمره وجدد قوته وسعى الى استرداد اسرائيل • فتوجه ضد اسرائيل واستولى على عبر الأردن حتى نهر ارنون الذى يصب فى البحر الميت (الملوك الثانى ١٠ : ٣٢ — ٣٣) • ولمـا أصبح ملك دمشق سيدا على الاردن كله ، اتجه الى غرب اسرائيل بقصـد الاستيلاء على طرق التجارة مع مصر والجزيرة العربية فاستولى على جت فى اقليم فلسطين وبعد ذلك هدد بيت المقدس • وامام هذا الخطر اشترى يهواش ملك يهوذا سلامته بالذهب والفضة فاقتنع حزائيـل وعدل عن دخول اورشليم (الملوك الثانى ١٢ : ١٧ — ١٨) • لقد قاست مملكة اسرائيل كل هذه المخاطر ولاقت اذلالا كبيرا • ولم يذكر العهد القديم حوادث تلك الفترة بالتفصيل ولا نعرف الا ما حدث فى عهـد يهواحاز الذى جاء بعد ياهو عام ٨١٤ ق•م ولم يكن فى جيش اسرائيل سوى « خمسين فارسا وعشر مركبات وعشرة آلاف راجل لأنه أبادهم ملك آرام وجعلهم مثل التراب الذى يوطـأ » (الملوك الثـانى ١٣ : ٧ ، ٢٢) •

---

(26) ANET, p. 280.

لقد استطاع آراميو دمشق أن يحافظوا على مركزهم فى عهد بنهدد الثالث ابن حزائيل (الالوك الثانى ١٣ : ٣) الذى استطاع أن يكون حلفا كبيرا ضد زاكير ملك حماه ولعش • وكان زاكير قد اغتصب حماه ثم احتل منطقة لعش (ووهى منطقة بين حماه وحلب) ثم استولى على مدينة حزرك التى غالبا ما كانت عاصمة لعش وبذلك اختلت القوى فى الدويلات السورية نتيجة اطماع زاكير • فتحالفت ضده الدويلات الآرامية الأخرى والدولة الحيثية الجديدة تحت زعامة ملك آرام أى ملك دمشق • لم تتمكن الامبراطورية الآشورية من التدخل فى الفترة الضعيفة التى مرت بها وكان الصراع فى هذه الفترة قائما على قدم وساق بين الدويلات المختلفة فى سوريا • اجمع المتحالفون على مهاجمة زاكير فى حزرك فحاصرها الأعداء وكاد زاكير يستسلم أمام هذا الحصار لولا أن الهه حفظه(٢٧) • ولكن سرعان ما فتر نشاط الآراميين مرة أخرى حينما جدد اداد — نيرارى الثالث ملك آشور (٨١٠ — ٧٨٣ ق•م) حملاته ضد الآراميين فى سوريا عام ٨٠٥ — ٨٠٢ ق•م مبتدئا بدمشق وملكها « مارى » (وهى كلمة آرامية تعنى « سيد » ومن المحتمل انها تشير الى بنهدد الثالث) الذى تلقى هجمة آشورية جديدة فاضطر للتسليم بعد حصار دمشق • وعلى شاهد عثر عليه حديثا فى تل الرماح سجل لنا اداد — نيرارى الثالث الجزية الكبيرة التى أخذها من آرام — دمشق والتى كانت تتكون من فضة ونحاس وحديد وأقمشة مختلفة الألوان وأقمشة من كتان واسرة من عاج ومقاعد من العاج المطعم بالذهب والمرصع بالأحجار الكريمة • كما سجل على نفس الشاهد حملة قام بها الى البحر المتوسط عام ٧٩٦ ق•م أو حملة ضد منطقة مانصوتى (فى وادى لبنان) عام ٧٩٦ ق•م • ومن بين الذين دفعوا الجزية للملك الآشورى « اواسو السامرى » أى الملك

---

(٢٧) عبد الحميد زايد : المرجع السابق ص ٣٥٩ — ٣٦٠ .

يهواش ملك اسرائيل الذى يذكر لأول مرة فى المصادر الآشورية[28] •
ولعل لقب هذا الملك « السامرى » يوحى بأن مملكته كانت فى بداية الأمر مقصورة على منطقة السامرة فقط نتيجة للغزوات الآرامية •

انتهز يهواش ملك اسرائيل (٧٩٨–٧٨٢ ق•م) فرصة ما حاق بدمشق على يد الآشوريين وبدأ يستعد للهجوم عليها • وجه يهواش الى بنهدد الثالث ثلاث ضربات متوالية تمكن بعدها من استعادة المدن التى كان الآراميون قد استولوا عليها من أبيه يهواحاز (الملوك الثانى ١٣ : ١٩ ، ٢٥) •

واصل يروبعام الثانى (٧٨ — ٧٤٣ ق•م) سياسة والده يهواش العدائية تجاه الآراميين الذين ازدادوا ضعفا على أثر الحملة التى وجهها شلمنصر الرابع (٧٨٢ — ٧٧٣ ق•م) ضد دمشق عام ٧٧٣ ق•م لقد نجح يروبعام فى استعادة كل شرق الاردن فارضا السيطرة الاسرائيلية على دمشق وذلك فى عهد تب ايل الذى تشير اليه نصوص التوراة كانما هواب رصين (اشعيا ٧ : ٦) وتقدمه تحت اسم طبيئل (الملوك الثانىذ ١٤ : ٣٥ ، ٢٨) •

وما أن تولى تيجلات — بيلزر الثالث عرش آشور (٧٤٤ — ٧٢٧ ق•م) حتى كان أول عمل قام به هو مهاجمة أورارتو والقوات الآرامية الأخرى فى أرباد وميليد وكركم وكموخ وقد هزم الآشوريون هذا الحلف الذى تزعمه سردور ملك اورارتو وحاصر تيجلات — بيلزر الثالث مدينة ارباد ثلاث سنوات حتى سقطت عام ٧٤٠ ق•م وأصبحت هذه البلاد مقاطعة آشورية وجاء بقية ملوك آرام مقدمين فروض الولاء والجزية للآشوريين وهم ملوك دمشق وصور وكموخ وقى

(28) S. Page, Iraq 30 (1968), 139 ff. ; J.A. Soggin, VT 20 (1920) 366 ff.

وقرقميش وكركم • ولكن اتحدت الدويلات السورية الأخرى ونظم ازريو ، الذى اغتصب عرش سمال ، حركة العصيان ضد تيجلات بيلزر عام ٧٣٨ ق•م ، الذى لم ينتظر طويلا وانقض عليه واحتل كثيرا من المدن على شاطىء فينيقيا الشمالى وفى بلاد حماه وأمر باعدام ازريو وأعاد الى العــرش الملك الشرعى بنمو الثانى الذى سجل ابنه بر — ركب هذه الأحداث فى نقشين له وهكذا دخلت سمأل فى نطاق النفوذ الآشورى • وان ما وجد فى سمال من بقايا أثرية لهلاك بالنار وانقطاع كل ذكر لها فى مصادرنا ، يدلان فيما يبدو على انها لقيت نهاية فاجعة قبل مرور زمن طويل[٢٩] • وهكذا امتد سلطان تيجلات — بيلزر الثالث من فيليقيا الى صور والسامرة ودمشق حتى البلاد العربية •

لقد شهدت مملكة آرام — دمشق آخر ومضات مجدها فى عهــد آخر ملوكها المدعو رصينى الذى كان واحدا من الموالى الذين دفعوا الجزية لتيجلات — بيلزر الثالث عام ٧٣٨ ق•م ولكن سرعان ما يقــوم بثوره ويغزو شرق الاردن حتى راموث جلعاد جنوبا كما اغار على ايلات (الملوك الثانى ١٦ : ٦) • بعد ذلك أجبر بكاح ملك اسرائيل على أن ينضم الى صفه ثم أخذ يضغط على يوثام ملك يهوذا وابنه أحاز الذى استنجد بآشور حسبما ورد فى سفر الملوك الثــانى (١٥ : ٣٧ ، ١٦ : ٦ ، ٧ وما بعدها)« انا عبدك وابنك فاصعد وخلصنى من يد ملك آرام ويد ملك اسرائيل القائمين على » فهاجمهما وفى حملتين متتاليتين هزم تيجــلات — بيلزر الثالث بكاح فى السامرة عام ٧٣٣ ق•م ثم حاصر آرام — دمشق وملكها حتى أصبح مثل « عصفور فى قفصه » وأخيرا سقطت دمشق نفسها عام ٧٣٢ ق•م ونقل أهلها وفقد رصين عرشه بل دفــع حياته ثمنا لدفاعه عن مدينته (الملوك الثانى ١٦ : ٩) • وقد تفاخــر العاهل الآشورى بانه دمر ٥٩١ مدييننة فى ست عشرة مقاطعة تابعــة

---

(٩) موسكاتى : الحضارات السامية القديمة ص ١٧٩! .

دمشق « وهدمها حتى أصبحت مثل الكثبان التى يتركها السيل »[٣٠] وفى نقش عثر عليه حديثا فى نمرود يقول تيجلات بيلزر الثالث بعد هذه الحروب المنتصرة « استعدت الى ممتلكات آشــور (ارض بيت —) حزائيل بأكملها من جبال (لبنان) حتى مدينة (راموث —) جلعــاد التى تقع على حدود أرض بيت عمرى ، وعينت عليها موظفين من جانبى كحكام »[٣١] • وهكذا خضعت سوريا لسلطان آشور ما دامت أقوى أقاليمها قد غدت خاضعة لها •

لقد قسمت آرام — دمشق بعد ذلك الى ولايات آشورية[٣٢] ، دمشق فى الوسط وحــوران وقارنينى (كارنايم فى العهد القــديم) وجلعاد فى الجنوب ومانصواتى فى الغرب وصوباتو فى الشــمال • لقد نشبت ثورات بعد ذلك فى دمشق عام ٧٢٠ ق•م وفى غيرها مــن المدن مثل السامرة وارباد وحماه وربما سمأل أيضا ولكنها أخمدت كلها على يد سرجون الثانى الآشــورى • وهكذا اختفت دويلات ســوريا الآرامية ، كما اختفت فى القرن السابق دويلات الآراميين فى بــلاد الرافدين •

لقد ترك تخريب مملكة دمشق التى شهدت عصرا زاهرا بالامس القريب أثره فى نبوءات عاموس (١ : ٣ — ٥) واشعيا (١٧ : ١ — ٣) وارميا (٤٩ : ٢٣ — ٢٧)[٣٣] •

---

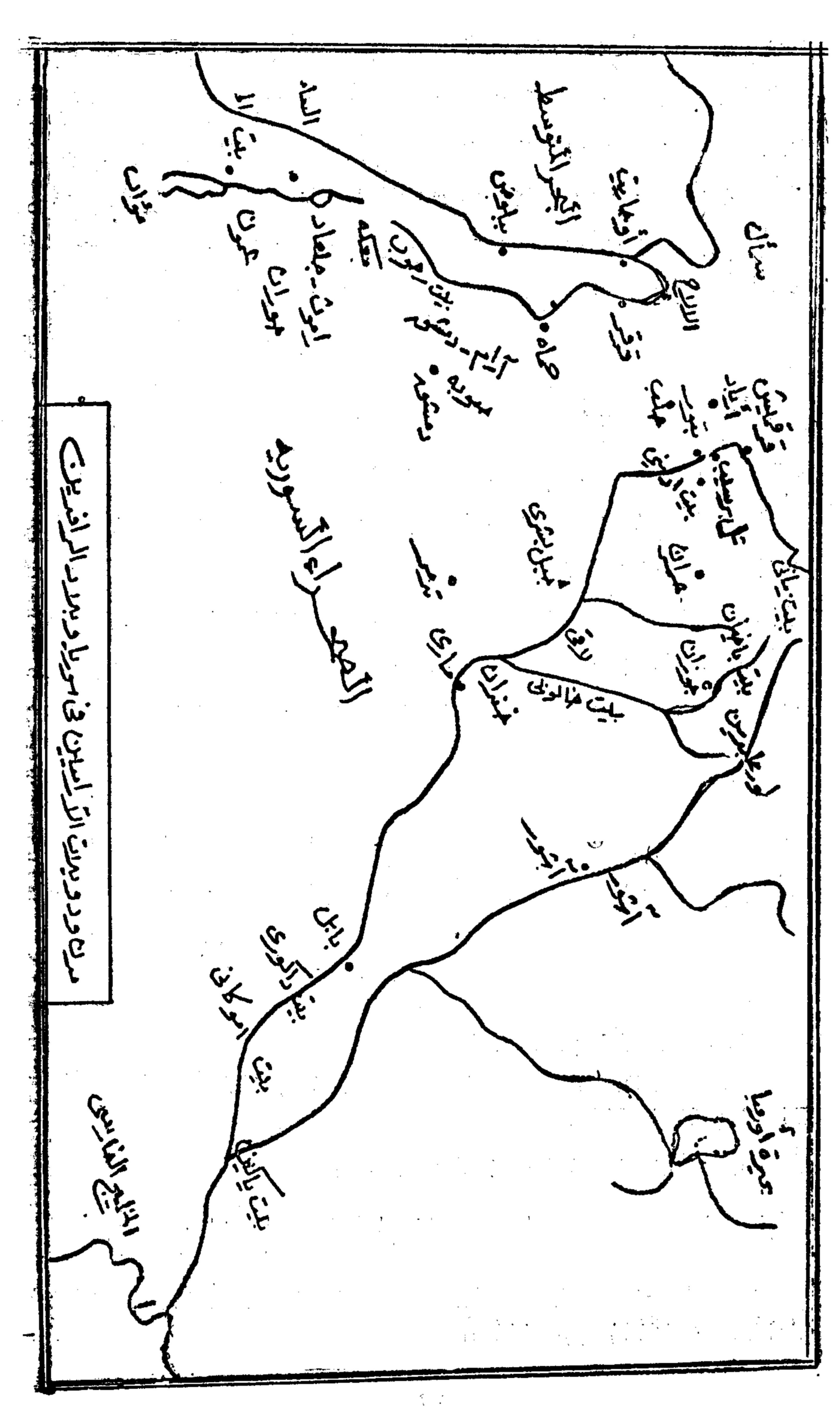
(30) ARABI, p. 777.

(31) D. D. Wiseman, Iraq, 17 (1956), 120 ff ; H. Tadmor, IEJ 12 (1962), 114 ff.

Cf . B. Oded, JNES 29 (1970), 177 ff.

(٣٣) وعن النبوءات ضد آرام خاصة بنوءات عاموس ، انظر تعليقات مؤرخى العهد القديم مثل :

J. A. Soggin, Near Eastern Studies in Honor of W. F. Aleright (Baltimore, 1971), pp. 433 ff.



مدن ودويلات الآراميين في سوريا وبلاد الرافدين

الاختصارات

AFO : Archin Für Orientforschung.

ARAB : D.D.Luckenbill, Ancient Records of Assyria and Babylonia, 1926.

BA : The Biblical Archaeologist.

BASOR : Bulletin of the American Schools of Oriental Research.

IEJ : Israel Exploration Journal.

JBL : Journal of Biblical Literature.

JNES : Journal of Near Eastern Studies.

RLA : Reallexikon der Assyriologie.

RSO : Rivista de gli Studi Orientali.

VT : Vetus Testamentum.

ZA : Zeitschrift dir Assyriologie.